هيدغر و اشكالية تأويل العمل الفني

دراسة في الانطولوجيا الجمالية

د.كريم حسين الجاف

الجامعة المستنصرية \كلية الاداب

قسم الفلســـــفة

المقدمة:

ثمة حقيقة تستدعي الاهتمام عند النظر في قضايا و اشكاليات الخطاب الفلسفي المعاصر ، وهي أن تلك القضايا و الاشكاليات تختلف تماما عن تلك المتأصلة في الخطاب الفلسفي القديم والحديث، إذ نجد أن تلك الخطابات كانت تتميز بالشمولية والعمومية عند طرح ألاشكاليات النظرية بشأن موضوع ما في حين أن الخطاب الفلسفي المعاصر لم يخضع لذلك النهج الذي مرت به الخطابات الفلسفية السالفة الذكر، بل على العكس تماما نجد ان ذلك الخطاب بوصفه نمطا جديدا و مختلفا في التفكير بالموضوعات قد منح فلاسفتها دورا اكبر في التفكر بحقائق الاشياء و بكيفيات مختلفة. واذا تخطينا حدود رؤى الخطابات الفلسفية القديمة و الحديثة ،الى رؤى الخطابات الفلسفية المعاصرة،نجد أن مبحث القيم لدى الفلاسفة المعاصرين قد اصبح من المباحث المؤثرة في حقل التفكير الفلسفي ،وهي من ثم على العكس من منظورات الحقبة القديمة و الحديثة التي أولت مبحث الوجود و المعرفة عناية كبيرة.

لقد شغل مبحث القيم (الخير،الحق،الجمال) ولما يزل حيزا مهما في الخطاب الفلسفي المعاصر،وقد تعددت الرؤى و المناهج في فهم اشكالياته ، و يعد الفيلسوف الالماني مارتن هيدغر(١٨٨٩-١٩٧٦) أحد أهم الاسهامات الفلسفية الهامة في تأسيس خطاب فلسفي مميز لفهم المبحث الجمالي،ذلك المبحث الذي يهتم بمسألة الفن و الموقف الجمالي من هذه المسألة.

يرى هيدغر أن مشكلة الفن في فهمه التقليدي وعبر تأريخ الفلسفة تكمن في كونها سؤالا يطرحه الفلاسفة على الفن و الجمال لفهم ماهية العمل الفني، في حين أنه ينبغي طرح الاسئلة على العمل الفني لفهم ماهية الفن والجمال و الفنان، و الابداع الفني .

يهدف البحث الى أبراز مهمة الفلسفة الظاهراتية في تطوير فهم الفن والتجربة الجمالية في ضوء فلسفة هيدغر الانطولوجية, تلك الفلسفة التي احدثت زحزحة من خلال تغييرها كليا طريقة طرح اشكالية مسألة الفن والتفكر بمشكلاتها من منظور مختلف ونهج جديد, وانطلاقا من العمل الفني ذاته .

اولا : مدخل تمهيدي

أ – البحث الجمالي في الخطاب الفلسفي

أن قيمة الفن كقضية فلسفية قد طرحت منذ النشأة وصولا إلى اللحظات الراهنة في

مبحث القيم*(الخير,الحق,الجمال) ذلك المبحث الذي سعى من خلاله الفلاسفة فهم العمل الفني وتأويله حسب أشكاليات وظروف العصر, ولاشك أن"لفلسفة الفن تاريخ بقدر تأريخ الفلسفة ذاته" [1] وان قضاياها و اشكالياتها يتم مناقشتها منذ سقراط وافلاطون وارسطو وحتى عصرنا الراهن بكيفيات مختلفة وذلك حسب العصر الذي يتم فيه النقاش.

لقد ظهر المبحث الجمالي بوصفه أحد مباحث فلسفة القيم في الفلسفة اليونانية ويرجع ظهور ذلك المبحث الى رغبة الفلاسفة وسعيهم لتقديم تصور معين عن القيمة الجمالية التي ينبغي بها تقييم الاعمال الفنية.

ويعد افلاطون(427ق.م-347ق.م) من اوائل الفلاسفة الذين تفكروا بالقيمة الجمالية للعمل الفني وذلك من خلال اشكالية(المظهر\الحقيقة) التي هيمنت على فلسفته بعامة والبحث الجمالي بخاصة, ذلك البحث الذي ناقش علاقة الفن بالحقيقة من خلال رفضه نظرية المحاكاة . فالفن كما يرى افلاطون الذي "يقوم على المحاكاة بعيد كل البعد عن الحقيقة" [2] , لان الفنان هنا لايدرك الوجود الحق(=المثال), انما يدرك مظهره ومن ثم سيكون بعيدا عن الحقيقة الذي هو الجمال المطلق,وهو غاية التجربة الجمالية ومبتغاها.

اما ارسطو (384 ق.م-322ق.م) فيرى أن جمالية العمل تكمن في "محاكاة الفعل والحياة بغرض اثارة عاطفتي الرحمة والخوف التي تؤدي الى التطهير من هذه الانفعالات" [3] , وتهدف عملية المحاكاة عند ارسطو التي هي محاكاة طبائع الاشياء كي تتخطي تلك الطبائع و ازالتها من خلال الفن, وان جمالية العمل التي تكمن في قدرة الفن على تخطي ما هو قائم نحو ما هو افضل .

واما في العصور الوسطى التي هيمن عليها التفسير اللاهوتي لكل ماهو موجود في العالم , فنجد أن البحث الجمالي لأي عمل فني قد تحدد بالقيم اللاهوتية و الاشتراطات الاخلاقية و الدينية لتلك العصور ,اي العصور الدينية, تلك القيم و الاشتراطات التي أضحت مرجعا لفهم التجربة الجمالية.

واما عصر الحداثة فقد قدر للبحث الجمالي أن ينتعش مع انبثاق فلسفة الذاتية؛فلسفة العقلانية الغربية .ففي ذلك العصر تأسس علم الجمال على يد الفيلسوف الالماني الكسندر بومغارتن(1714-1762) ذلك الفيلسوف الذي ربط بين ما هو جميل في العمل الفني وحال الذات المدركة له , اذ جعل جمالية العمل الفني "مشروطة باحكام الذات" [4] , وهذا

ما سنجده واضحا في مشروع كانط (1724-1804) النقدي عندما وضع احكاما لمنطق تذوق الاعمال الفنية, ذلك المنطق الذي يشير الى أن"الشعور الجمالي لا يدل على شيء في الموضوع ذاته,وانما تشعر فيها الذات" [5] اذ أن احكام الذوق ليست احكاما معرفية ومنطقية بقدر ماهي جمالية تتعلق بادراك الذات لها , فالجمال هو ما يثير انفعالاتنا الذاتية أثناء حصول التجربة الجمالية.

و يأتي هيغل (1770-1831)ويرى أن الفن تجسيد للحقيقة من خلال ما هو جميل ,وتكشف للفكرة المطلقة عبر ما هو حسي و أن الانسان يسعى من خلال العمل الفني الى"التعبير عن وعيه لذاته"[6] وان "تهذيب الاخلاق هو الذي يشكل هدف الفن" [7] ومضمونه في التجربة الجمالية.

واما الحقبة الهامة الاخرى في تاريخ البحث الجمالي فهي مع الفيلسوف نتيشه(1844-1900) ذلك الفيلسوف الذي وجد ان الفن قد اصبح "نشاطا تواصليا يكمن في كونه تعظيما للحياة وقابلية للاثارة الفيزيولوجية حيث يتم تبادل الحركات والاحاسيس ,فالفن لغة تقول مباشرة "حقيقة" الاحاسيس ذاتها" [8] حقيقة إرادة القوة ففيها "يجني الانسان متعة من رؤية نفسه كاملا" [9] , و ان حقيقة العمل الفني عنده هي الكشف عن حقيقة الحياة بوصفها مظهرا و صيرورة فضلا عن كونها شكلا من اشكال "أعادة الاعتبار لقيمة العالم الارضي في اطار و صيغة جمالية"[10]. تتخطى الافلاطونية لكن بشكل مقلوب هذه المرة .

و أما الخطاب الفلسفي المعاصر ومع انبثاق منهج الظاهراتية**, فقد تأسست قواعد جديدة و اتجاهات متنوعة للبحث الجمالي, وتعد الانطولوجيا الجمالية من أهم الحقول الفلسفية التي تناولت "بالبحث طبيعة العمل الفني من زاوية علاقته بالوجود" [11] , أو علاقة الحقيقة بالفن على حد تعبير مارتن هيدغر الذي هو موضوع البحث , اذ سنجد كيف ان ذلك الفيلسوف قد غير طريقة تأويل العمل الفني و البحث الجمالي من خلال ما يعرف بالانطولوجيا الظاهراتية , تلك الطريقة التي أحدثت ثورة في كيفية إدراك العمل الفني , وفي كيفية رؤية الجميل فيه.

بـ - أسـلوب وجود الموجود في العالم

لآجل معرفة الكيفية التي أنبثقت عنها الرؤية الجمالية عند هيدغر, ينبغي القاء نظرة على

جوهر فلسفته التي تستند الى المسألة الانطولوجية, مسالة الوجود تلك المسألة التي اصبحت منسية من قبل الانسان ذاته , و اصبحت جوهرية عند البحث عن معنى الوجود و من المهام الفلسفية لاجل الكشف عن حقيقته .

ويرى هيدغر أن مسألة(الأختلاف الانطولوجي) هي من أهم إشكاليات السؤال عن معنى الوجود . فالاختلاف الانطولوجي بين الوجود و الموجود يؤسس الوجود و للطريقة التي يكون بها في كل عصر من عصور تأريخ العالم, لابوصفه هوية ,او تطابق, او تشابه ,انما بوصفه أختلافا,وتحولا و تحقيقا لما هو ممكن في ضوء التجربة المعاشة ,وهذا مالم تحفل به الميتافيزيقيا كونها قد نست الاختلاف الانطولوجي الذي هو "نسيان الاختلاف بين الوجود و الموجود" [12] . أن ادراك الاختلاف الانطولوجي لايمكن أن يحدث الا اذا وعى الانسان كينونته بوصفها[وجودا-في-العالم] [13] , والتي هي الصيغة الاساسية له ومن ثم السؤال عن معنى الوجود, أذ ان الميتافيزيقيا التقليدية, حسب هيدغر ,لم تدرك الوجود الابوصفه موجودا متعاليا وموجودا الهيا, كما تدركه فلسفات الذاتية من خلال عملية "التمثل المقولاتي,وهذا معناه أن حقيقة الوجود من حيث هو ذلك النور و الانفتاح" [14] بقيت محتجبة عن الميتافيزيقيا, بسبب الحجاب الذي وضعته مقولات العقل الميتافيزيقي المجرد على ذلك النور.

ويرى هيدغر أن الموجود الوحيد الذي يتميز بالوجود ويمتلك القدرة على السؤال عن معناه , هو الانسان أوما أطلق عليه الوجود هناك(Dasein), الذي بوصفه ذلك الوجود الذي يحدث فيه أكتشاف الموجودات وتعني(Da) هناك ذلك الانفتاح الذي يكون في كلية الموجود؛ أي عالمه الذي فيه "يحفظ ألانسان اساسه الجوهري(أي وجوده) الذي ظل لعهد طويل دون تأسيس , والذي انطلاقا منه يستطيع الانسان أن يوجد متخارجا" [15] في العالم بوصفه زمانية وتأريخ, و اسلوب في الكشف عن الحقيقة , في ذلك الوجود.

أن ماهية الدزاين(=الوجود هناك) تكمن في وجوده الذي هو امكان الوجود ,إذ لايمتلك ذلك الدازين طبيعة ثابتة وراسخة وانه فقط "مايكون من خلاله افعاله التلقائية التي تصدر عنه" [16] , وفي ضوء التجربة المعاشة في العالم الذي يتواجد فيه. ولذا نجد أن السؤال عن الوجود عند هيدغر يجيء للقضاء على فكرة جوهرية الذات التي انبثقت عن فلسفة الحداثة, و لاتناهي العالم التي انبثقت عن الخطاب الفلسفي القديم و الحديث, عبر صيغة تجمع الانسان و العالم جمعا زمانيا و تأريخيا, كيما تجعلهما متناهيين ومتلازمين

لايمكن فهم احدهما من دون الاخر, و في أطار الانطولوجيا الاساسية التي تتأمل الموجودات تأملا عينيا من خلال وصل الموجودات بعالمها وصلا عضويا, لا كما فعلت الميتافيزيقيا القديمة حينما تأملت الموجودات تأملا مجردا, أي حينما تأملتها في حد ذاتها بعيدا عن عالمها ,مما انساها الاختلاف الانطولوجي بين الوجود و الموجود . وفي بحثنا هذا سنعرض كيف أن هيدغر تفكر في الوجود ولكن انطلاقا من العمل الفني هذه المرة , أذ يستمر بالتفكير في معنى الوجود , ولكن في أفق العمل الفني. فبعد أن تسائل عن معنى الوجود في كتابه الاساس(الوجود والزمن-1927), يسعى مرة اخرى للسؤال عنه في البحث الجمالي, وفي أطار فلسفة الفن.

جـ - مفهوم التأويل في انطولوجية هيدغر الظاهراتية:

يحتل النشاط التأويلي*** في فلسفة مارتن هيدغر مكانه مميزة فيما يتعلق بفهم معنى الوجود, وهذا ماظهر جليا في كتابه الاساس(الوجودوالزمن) ,فالفلسفة عنده هي "انطولوجيا ظاهراتية على نحو شامل, وتتخذ منطلقها من تأويل الدزاين لتحليل وجوده" [17] , أذ أن الانطولوجيا والظاهراتية ما يميزان شكل الفلسفة في كيفية فهم موضوعاتها. بيد ان الفهم لا يعني عند هيدغر عملية عقلية يؤدي الى معرفة نظرية, أنما يعني "ذلك التلمس الدائم للقوام الكلي للوجود في العالم" [18] , وهو متجذر في كيفية وجود الانسان ,بوصفه انشغالا واهتماما بعالمه ,ذلك العالم الذي هو ليس موضوعا اساسيا للتأمل بقدر ماهو ميداناً لاهتمام الدزاين وانشغالاته.

لذلك فأن وعي الدزاين هو باستمرار "وجوداً أكثر مما هو وعيا, وأن وجوده التأريخي يسبق اي فصل تجريدي بين الذات و الموضوع في المعرفة ,وأن مهمة التأويل الفلسفي يكمن في تعزيز مستوى الوعي التفكري على التواصل المعقول مع الموجودات التي نعيش معها" [19] , أذ أن الطابع الانطولوجي لوجود الانسان يسبق الطابع الابستمولوجي ومن ثم فأنه لايمكن الفصل بين الذات والموضوع في عملية فهم العالم , كما هي عادة فلاسفة الحداثة التنويريين.

ومن الجدير بالذكر أن تأويليه هيدغر تقوم على فهم وجود الموجود من خلال تجليه

بذاته فهو "الذي يعرض ذاته بذاته" [20] , والفهم كما قلنا ليس عملية عقلية تجاه الموجودات ,انما يخص التاريخ المؤثر لما يفهمه, اي وجود ذلك الذي يفهم ,وهو طريق انفتاح الدزاين على الوجود لأجل الوقوف عند امكانياته.

وأن التأويل بوصفه منهجايعتمد على التوصيف الظاهراتي للكشف عن حقيقة الموجود, وأن التوصيف الظاهراتي بوصفه منهجا يتوسل التفسير اداة لفهم وجود الموجود في مسيرة وجوده في العالم, وأن الدزاين"بوصفه فهما فأنه يعطي فكرة صحيحة عن امكانياته"[21] , وعن ذاته, وبالتفسير فأن"الفهم لايصبح شيئا مختلفا ,انما يصبح ذاته"[22] , وهكذا يكون التأويل عند هيدغر متصلا بالشرط الوجودي للدزاين, أي محكوم بزمانيته, وأن فهم "العمل الفني يشترط فهمنا لزمننا ولموقعنا"[23] , وهذا ما سنجده في كيفية فهم هيدغر للعمل الفني وفي كيفية تأويله انطلاقا من الانطولوجيا الظاهراتية ,وفي اطار جدلية الخفاء و التجلي أذ أن "خفاء الوجود لايعرض نفسه بالذات الا في ظهور الدزاين الذي يمكن من طريق انفتاحه حدوث المعرفة الصحيحة و الموجود الذي يظهر من الكشف يقدم نفسه لمن يلاحظه (..)وأن هذه المعرفة لاتتم الا اذا كان الكشف=(التجلي), والتحجب(=الخفاء) يحدثان في الوجود ذاته„[24] وفي اطار الحضور الحي للموجود وفي العالم , في عالم تأريخي معين.

ثانـــيا : مفهوم الاصل في العمل الفني

لقد تجسدت فلسفة الفن عند هيدغر في دراسة هامة كانت بعنوان (أصل العمل الفني), وكانت في الاصل محاضرة القاها في عام (1935) في الجمعية العلمية الفنية في مدينة فرايبورغ, فضلا عن أنه تم تطوير تلك الدراسة عام (1956) من خلال الاضافة و التوضيح.

يبدأ هيدغر في دراساته بالسؤال عن مفهوم(الاصل)**** في العمل الفني, ذلك السؤال

الذي أحدث أنزياحا كبيرا في كيفية فهم العمل الفني وذلك عندما غير كليا طريقة فهمه من خلال التفكر بأشكاليته من منظور تأويلي مختلف ونهج مميز. أن اصل العمل الفني لم يعد في الفنان كما كان يتداول في التقليد الفلسفي القديم, أذن فمن أين يبدأ السؤال عن العمل الفني؟ و الى أين ينحدر؟ و ما الذي ينبثق عنه؟

يرى هيدغر(الاصل)أنه المصدر الذي ينبثق عنه شيء ما, وهو الذي يجعل وجود ذلك الشيء ممكنا بخصائصه, ويحدد طريقة وجوده في العالم , فالاصل الذي يعني "من أين و بماذا يكون هذا الشيء وما هو وكيف هو ,نسميه جوهره"[25] , و السؤال عن العمل الفني يعني السؤال عن جوهره, و الجوهر يعني هنا السؤال عن وجود العمل الفني , الذي به يعرف الفنان و ليس العكس كما كان الاعتقاد القديم الذي يرى أن "العمل ينبع وفقا للتصور العادي من نشاط الفنان و عن طريق نشاطه"[26] ,فضلا عن طريقة وجوده في العالم الذي يكون فيه.

وهكذا فأن الفنان في منظور هيدغر يعرف بالعمل الفني وبه يبرز و يشتهر, وأن جدلية العلاقة بين الفنان و العمل الفني تنبثق من وسيط طرف ثالث الا وهو الفن, ولكن هل يمكن أن يكون الفن أصلا للفنان والعمل الفني.يرى هيدغر أن الفن لايمكن أن يكون مصدرا لمعرفة اصل الفنان والعمل الفني أذ ان الفن"مجرد كلمة لم يعد ما يطابقها شيء حقيقي"[27] , في العالم فهو أذن تصور كلي مجرد, مما يستدعي أن يصبح السؤال عن أصل العمل الفني سؤالا عن جوهر الفن, الذي ينبغي أن يستمد من العمل الفني , لامن القواعد والنظريات والمفاهيم و التصورات المجردة وهذا لايمكن أن يحصل الا عن طريق عمل فني حقيقي له وجود واقعي من قبيل اللوحات الفنية,والاشعار,والسمفونيات ...الخ, ومن خلال المظهر الشيئي لتلك الاعمال التي بدونها لايمكن أن تكون تلك الاعمال موضوعا للتفكر و الادراك النظري والفلسفي.

ثالثا: شيئية العمل الفني

ماهو الشيء الذي يجعل العمل الفني عملا فنيا؟ يسعى هيدغر في دراسته أصل العمل الفني الى تحديد الخاصية الشيئية في العمل الفني, التي تجعله شيئا كيما يعد عملا فنيا. لاجل ذلك يستعرض هيدغر ثلاثة تفسيرات للشيء تنتمي الى الميتافيزيقيا القديمة, ويتم

من خلالها تفسير وفهم شيئية الشيء, أوالمجال الذي ينتمي اليه كل موجود"فالاشياء في ذاتها, والاشياء التي تظهر وكل ما هو موجود عموما, يطلق عليها في لغة الفلسفة أسم شيء"[28] , أن التفسير الاول يقوم على الفهم الجوهري للشيء ؛ اي الشيء بوصفه جوهرا حاملا لاعراضه, والتفسير الثاني يظهر الشيء بوصفه وحدة التنوع في معطيات الحس, والتفسير الثالث يظهر الشيء بوصفه شيئا له صورة (=شكل)[29].

ويرى هيدغر أن تلك التفسيرات تكشف عن شيئية الاشياء في نمط محدد من الفعاليات الانسانية لاسيما العملية و لايمكن أن تكشف عن اصله الفني وجوديا, أي شيئيته من خلال صيغ ميتافيزيقية؛ أذ ان الجماليات التقليدية للخطابات الفلسفية القديمة كانت تحدد العمل الفني من الخارج "فالاسلوب الذي ينظر به الى العمل الفني من الخارج الذي ساد بواسطة التفسيرات التقليدية لكل الموجودات التي سايرت الفكر الميتافيزيقي في نفيه القطعي لاسلوب الموجود, قد نقلت التفسير التقليدي للشيء الى نطاق العمل الفني؛ ونظرت اليه بوصفه شيئا"[30]موجودا في العالم, وليس طريقة في الوجود.

أن شيئية الشيء في فهم هيدغر يعني الكشف عن حقيقة الشيء في وجوده وقد شرح ذلك عند تحليله لوحة فان كوخ(حذاء الفـلاحة), وتمييزه بين الحذاء الحقيقي الذي يستعمل من عالم الحياة و الحذاء الموجود في العمل الفني , أي في لوحة فان كوخ.

أن ماهية الحذاء في العمل الفني تجسد عالم الحياة الريفية لكل معاناتها وتعقيداتها وعلاقتها بالارض وهي تمثل شيئية الشيء لانها اظهرت حقيقة الاشياء وفقا لكيفية انكشافها في العمل الفني وأن شيئية الشيء "تعني أنتماء الشيء الى الارض, على ان جوهر الارض بوصفها الحاملة المتعلقة على ذاتها دون ارغام على شيء لايكشف نفسه الا حين يظهر في عالم"[31] , وهكذا فالسؤال عن شيئية العمل الفني يعني السؤال عن ماهو ارضي فيه يتجلى في أفق العالم كيما يكشف عن حقيقته من خلال عمل فني .

أن العمل الفني ذلك النشاط الانساني المميز عبارة عن "شيء من نوع خاص ينطق بلغة نوعية خاصة تعزله عن كل ما عداه من"أشياء"ينقل الينا بطبيعته شيئا أخر"[32] , غير الشيء المصنوع أنه ينقل الينا ويرينا بعده اللامرئي, من خلال الكشف عن اسلوب وجوده ؛ أي شيئيته الذي هو عالمه من خلال النهج الانطولوجي الظاهراتي الذي ابتدعه هيدغر, ذلك النهج الذي يرفض فكرة "صدور العمل الفني عن سابق ميتافيزيقي وديني وغيره لكي يرى أصل العمل الفني في سيرورته في أن يصير شيئا"[33] , لاشيئا بالمعنى

المجرد للشيء , أنما أسلوب وجود لعالم تأريخي ينكشف بالعمل الفني أنكشافا يظهر بها شيئية الوجود.

رابـــعا : الحقيـقة و العـمل الفـــني

بقي هيدغر منشغلا بالسؤال عن معنى الوجود, ولكن في افق العمل الفني هذه المرة؛وبحسب منظوره فان الوجود "بوصفه عملا فنيا يحدث حقيقة***** وجود الموجودات , بما في ذلك وجوده هو" [34] , في العالم الذي ينوجد فيه, وذلك لان الفن لايوجد من أجل الحقيقة في حد ذاتها أنما لاجل كون الشيء حقيقياً في وجوده وفي مايكشفه"[35] , فضلا عن الكيفية الوجودية التي يمكن بها ان يكون عملا فنيا وامكانيته في الكشف عن حقيقة الوجود بوصفه انكشافا و أزالة الحجاب عندما يعرض ذاته بذاته كما يحدث في العالم.

أن السمة الجوهرية التي يقدمها العمل الفني هي "أقامة العالم وأنتاج الارض"[36] , تلك السمة التي تشكل وجود العمل الفني , اذ ان اقامة العالم وانتاج الارض ملمحان "اساسيان من ملامح العمل الفني الذي يتم فيه الصراع بين الارض والعالم"[37] , وأن الحقيقة التي تحدث في العمل الفني هو ذلك الصراع بين الارض و العالم حيث تمثل الارض الانغلاق والاخفاء, والعالم يمثل الانفتاح والكشف وهما بذلك مختلفان من حيث الجوهر ولكنهما متلازمان في الوقت ذاته,"العالم يقوم على الارض, والارض تبرز عبر العالم (...) فالعالم يطمح في سكونه فوق الارض الى العلو فوقها وهو لايحتمل بصفته المنفتحة ماهو مغلق. لكن الارض بصفتها المتخفية تميل الى أن تضم العالم في ذاتها وتحتفظ به داخلها"[38] , بوصفه عالما تأريخيا يكشف عن حقيقته الصراع بين الارض و العالم وان العمل الفني "يحول ذلك الصراع الى خيط من التوافق ويزيل النزاع في آن واحد"[39] , وذلك من أجل أحداث الحقيقة في العمل الفني , حقيقة عالم تأريخي يسعى أفراده الى ادراك السمات المكونة لتجربتهم الخاصة في العالم"[40] , وأدراك حقيقة وجودهم فيه , فضلا عن تقديم رؤية في كيفية فهمهم له عبر العمل الفني. فعلى سبيل المثال يرى هيدغر أن المعبد الاغريقي بوصفه عملا فنيا يعكس منظور و اهتمام اليونان في مرحلة تطورهم التأريخي, أذ يعرض ذلك العمل المعاني و الدلالات المتصلة بالموجودات فضلا عن التحدي و الاستجابة لثقافتهم في عالمهم التأريخي (أقامة العالم),

وفي الوقت ذاته فان المعبد من جهة لمعان صخوره في ضوء الشمس يكشف قوة التربة الصخرية التي تسنده وهو ما يعبر عنه(أنتاج الارض), اذ أن للاعمال الفنية دائما وسائط مادية طبيعة(الصخور,الالوان,الكلمة الملفوظة), تلك الوسائط تكشف أو تخرج الارض من تحجبها وإنغلاقها.وهكذا فالعالم يجذب الارض باتجاه المعنى, والارض تغلق العالم على ذاته وفي ضوء ذلك الصراع تحدث الحقيقة , بماهي كذلك وتعرض ذاتها بذاتها,إذ أنها المجيء الذاتي الى العالم, وأعني بذلك ذات الموجود كما يحدث وينكشف في العالم بذاته لا بغيره.

أن العمل الفني بوصفه مقام أنفتاح العالم يمتلك الامكانية على كشف الوجود وعرض حقيقته في عالم وتحديد معناه ودلالته التامة وأن"الدلالة الحقيقة للعمل الفني يمكن أن تفهم فقط بموجب أصله ونشوئه ضمن ذلك العالم"[41] وهذا ما سعت اليه فلسفة هيدغر وذات المضمون الانطولوجي الظاهراتي التي جعلت الفكر ينشغل بالموضوعات الجمالية التي تكون ماثلة امامه , أي الاعمال الفنية بماهي كائنة وبصيغ تشكلها, لا بما ينبغي أن تكون كما هي عادة الاتجاهات الجمالية التقليدية التي انشغلت بمعايير وقواعد العمل الفني أكثر من انشغالها بحقيقة العمل الفني بوصفه موضعا لحدوث حقيقة فيه, حقيقة عالم تأريخي لحضارة ما او لثقافة ما .

خامـــسا : صلة الحقيقة بالـــفن

ماهي صلة الحقيقة بالفن؟ وجد هيدغر أن المنعطف الانطولوجي خير وسيلة للكشف عن ماهية الفن, وأنه ينبغي طرح الاشكاليات الجمالية, أو البحث الجمالي بعدها اشكاليات انطولوجية تهدف الى فهم الحقيقة انطلاقا من العمل الفني ومن ثم الكشف عن جوهر الفن , و الجمال , و الابداع الفني, من العمل الفني ذاته .

ولذلك نجد هيدغر يرفض الفهم الذاتي للفن, لانه أي الفن لاينتمي الى الوعي الذاتي, أنما ينتمي الى الوجود ذاته , ويرفض الفن بوصفه تقديما لمتعة ولذة جمالية كما أدركتها الفلسفات التقليدية والقديمة, انما يفهم الفن بدلالته اليونانية والذي يعني"الوعي بالموجود بوصفه موجودا"[42] ونقله من الخفاء الى التجلي وادراجه في دائرة التجربة المعاشة, لاجل وضع الحقيقة في العمل الفني بشكل ابداعي ومن أجل الحفاظ عليه, فالفن حسب هيدغر هو "المحافظة الخالقة للحقيقة في العمل الفني, ولذلك فهو يعد صيرورة الحقيقة وحدوثها"[43] , في العمل بوصفها كشفا من خلال صلته بكلية الموجود, الذي يدل على

الارض والعالم في صراعهما الذي يتم عرضه بالفن.

أمــا الفنان فيرى هيدغر أنه يختلف كليا عن صانع الادوات التي تستعمل في العالم الخارجي أذ أن فعله الابداعي "يجعل الموجود بادىء ذي بدء يبرز من مظهره الى وجوده , وهذا الفعل يحدد جوهر الخلق ويدعمه ويبقى محفوظا فيه"[44] , وبعد أتمام العمل الفني فأن ماهية الخلق او الابداع الفني تحدد ماهية العمل الفني , من حيث هو مصدر للابداع و المحافظة على الحقيقة , وهو ماينبغي أن يقوم به البحث الجمالي .

إما النشاط الجمالي من منظور هيدغر فأنه لم يعد نشاطا محفزا للتجربة الجمالية, فبالتجربة الجمالية يموت الفن, ولاهو موضوعا للادراك الحسي, و لاتجليا حسيا للفكرة المطلقة كما علمنا هيغل , انما الجمال هو "الطريقة التي توجد بها الحقيقة بوصفها كشفا"[45] , لحقيقة الوجود , وان العمل الفني هو مشروع أحداث الحقيقة, حقيقة أنفتاح العالم من أجل انكشاف الموجود ليدل على ذاته بذاته , واحداث هويته على قاعدة المغايرة والاختلاف ,لاعلى "قاعدة التطابق والمماهاة , أذ أن العمل الفني ليس موضوعا يوجد في العالم , بقدر ماهو ذاتا ينوجد العالم فيه , ليكشف فيه عن حقيقته بذاته لا بغيره, لا بوصفه شيئا , أنما بوصفه حدثا. إن العمل الفني حدث (Event) , يتم أحداث الحقيقة فيه بناء على الكيفية التي يكون بها في العمل الفني . و هكذا نجد كيف أن هيدغر قد أتفق مع افلاطون عندما وجد للفن علاقة بالحقيقة , إلا أنه أختلف معه في كيفية فهم الحقيقة, فالحقيقة عند افلاطون هي معرفة المثال , مثال الموجودات في عالم المثل الازلي الذي يقع خارج الزمان والمكان, في حين أن الحقيقة عند هيدغر هي حدوث حقيقة الموجود بوصفها انكشافا في العالم, عالم التجربة المعاشة للدزاين, وفي أطار الصيغة الانطولوجية له بوصفه وجودا في العالم.

الخاتـــــــــــــــمة

مما تقدم أرى أن هيدغر قد ادرك اشكالية تأويل الفن وفهم أصله في ضوء ما اصطلح عليه(الانطولوجيا الظاهراتية), ذلك النهج الذي عده المقاربة المناسبة لفهم البحث الجمالي .

لقد تحرر هيدغر من النظريات و التصورات الجمالية والفنية التقليدية التي أنحدرت من الفلسفة القديمة وفلسفة الحداثة ذات الخصائص الذاتية, من خلال التحليق في فضاء

اصطنعه بنفسه , الا وهو فضاء الانطولوجية الظاهراتية قاصدا تخطي تأويل الفن والبحث الجمالي انطلاقا من تلك النظريات والتصورات, والبدء بتاويله انطلاقا من العمل الفني ذاته, بوصفه اسلوبا لوجود الموجود, و موضعا لانكشاف الحقيقة فيه.

فالعمل الفني من منظور هيدغر , لم يعد شيئا مجردا, بقدر ما اضحى موضعا لكيفية وجود الموجود في عالم تأريخي ,من أجل الكشف عن حقيقته الوجودية, في شيئيته, أذ أن السؤال عن أصل العمل الفني يعني الذهاب الى الاشياء ذاتها للكشف عن الاختلاف الانطولوجي بين الوجود والموجود الذي تعرض للنسيان , ولكن في أفق العمل الفني هذه المرة.

وفي خاتمة الخاتمة أرى أن العمل الفني في منظور هيدغر لم يعد شيئا , او موضوعا لذات مدركة كما هو الحال لدى مفكري عصر الحداثة, عصر الفلسفة الذاتية , أنما العمل الفني شيء قائم في حد ذاته , أنه الاخر الذي يكشف عن حقيقته في عالم , يكشف عن جماله بوصفه حقيقة تحدث في الفن , و ينكشف بالعمل الفني .

الهـــــــــوامـــــــش و الاحـالات

*يعد مبحث القيم من المباحث الاساسية في الفلسفة الى جانب مبحثي الابستمولوجيا والانطولوجيا , ويسمى مبحث العلوم المعيارية(علم الاخلاق,علم المنطق,علم الجمال) تلك العلوم التي تتخطى ماهو كائن الى ما ينبغي أن تكون به الاشياء ويعد الجمال من المباحث المهمة لمبحث القيم , اذ يتناول به الفلاسفة قيمة الفن بوصفه موضوعا فلسفيا, وهذا مانجده جليا في كل عصر من عصور تأريخ العالم الذي رسمت الفلسفة ملامحه , منذ أنبثاقها في زمن اليونان وحتى الان.

لقد تميز البحث الجمالي التقليدي بوضع قواعد عامة ومطلقة لتحديد طبيعة الفن, والقيمة الجمالية, والابداع الفني, على حين أن علم الجمال المعاصر لم يعد يهدف الى التوصل الى قوانين دقيقة وقواعد ثابتة , بقدر ما اصبح أدراك لحقيقة التجربة الجمالية في ضوء التجربة المعاشة تلك الحقيقة التي تتميز بالنسبية والزمانية وحسب طبيعة كل عصر وهذا ما نجده عند هيدغر وفلاسفة الظاهراتية.

1- Neill (H): The philosophy of Art , magraw hill , N.Y ,1995 , P.1

2 - افلاطون : الجمهورية ,ت:د.فؤاد زكريا, الهيئة المصرية العامة للكتاب , القاهرة ,ط 1 , ص 553

3- آرسطو : فن الشعر ,ت: د.عبد الحمن بدوي , دارالثقافة, بيروت ,ط2 ,1973,ص 18

4- ميشال هار : فلسفة الجمال قضايا واشكاليات ,ت أديب كثير ,منشورات مابعد الحداثة ,فاس ,ط 1 ,2005 , ص 12-13

5- أمانويل كنت : نقد ملكة الحكم ,ت: غانم هنا ,المنظمة العربية للترجمة, بيروت , ط1 ,2005 , ص 101-102

6- هيغل : المدخل الى علم الجمال ,ت :جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت ,ط 3 ,1988 , ص 71

7- هيغل : المصدر نفسه , ص 53

8- سمير الزغبي : نيتشه ,دار التنوير , بيروت , ط ,2009 , ص129

9- نيتشه- افول الاصنام ,ت :حسان بورقيبه ومحمد الناجي , افريقيا الشرق , بيروت ,1996 , ص 85

10- عبد الرزاق بلعقروز: نيتشه ومهمة الفلسفة, منشورات الاختلاف , الجزائر , ط,2010 , ص 143

** الظاهراتية(phenomenology) منهج فلسفي اسسه الفيلسوف الالماني ادموند هوسيرل(1859-1938) يتأسس على مبدأ القصدية ذلك المبدأ الذي يؤكد على ان الوعي هو دائما وعي شيء ما ومن ثم فأن الوعي لايكون وعيا الا بوصفه متوجها نحو موضوع ما وأن ذلك الموضوع لايمكن تحديده الا في أطار علاقته بالوعي(=الذات) . إن الظاهراتية بوصفها علما وصفيا ونشاطا معرفيا تهدف الى توصيف تلك العلاقة التي يتم من خلالها تعرف الذات على موضوعاتها في أطار التجربة المعاشة؛ تلك التجربة التي تحلل ما نعيشه راهنا تحليلا متعاصرا ينتمي للواقع المعاش.

11- د.ثامر المهدي : الجمالية,دار الشؤون الثقافية , بغداد ,ط11, 2000, ص 29

12- Richardson(w.) Heideggar ; through phenomenlogy to thought , martinus nijhoff , Netherlands , 1967 , p. 13

13- Heideggar(m.) ; Begin and Time , (Tran. J. macsuarri) , Basil Blackwell , oxford , 1967 , p. 79

14 - مارتن هيدغر : رسالة في النزعة الانسانية, ت : عبد الهادي مفتاح, دار النشر المغربية, الدار البيضاء ,ط 1, 1998, ص14

15- مارتن هيدغر : في ماهية الحقيقة ,ت:أسماعيل المصدق, الجزء الاول, المجلس الاعلى للثقافة, القاهرة,ط1, 2003 , ص66

16- Beardsley(m.) Aesthetics , U niversity of alabama press, u.s.a, 1966, p.374

***لقد فهم التأويل (Hermeneutics) قديما بوصفه فنا لتفسير النصوص الدينية وفك رموزها للكشف عن معانيها, أما راهنا ومع تقاليد الفلسفة الالمانية التي انبثقت في اواسط القرن التاسع عشر , فقد أصبح التأويل يعني تأسيس نظرية عامة للادراك والفهم للعلوم الانسانية يجسد كيفية التعامل مع التجارب الانسانية المعاشة التي تتسم بالزمانية والتأريخية وتختلف جذريا عن تجارب العلوم الطبيعية التي تهدف الى تعليل(explanation) الظاهرة اعتمادا على مقولات وصيغ اختزالية جامدة تلائم تلك التجربة ولاتناسب التجارب الانسانية التي تفهم بالتفسير (Interpretation) , أن الفهم التأويلي الذي يفسر الشؤون الانسانية هو مايميز الفلسفة الالمانية منذ شليرماخر(1768-1834) وديلتاي (1833-1911) ومرورا بهوسيرل وهيدغر وحتى الان

17- Heideggar (M.) : Being and Time , p.62

18 - Ibid , 144

19- Mccarthy(T.) ; After philosophy: End or Transformation

, cambridge, England , 1991 , p. 51

20- Hideggar (M.) ; Being and Time , P. 51

21 - Ibid , p. 188

22- Ibid , P. 189

23- ديفيد كوز نزهوي : الحلقة النقدية , ت : خالدة حامد , منشورات الجمل ,بغداد, 2007, ص 75

24- مارتن هيدغر : أصل العمل الفني, مقدمة غادامير,ت:د.ابو العيد يدو,منشورات الاختلاف الجزائر,ط1 ,2001, ص22-23

***يسعى هيدغر في دراسته عن العمل الفني، تخليص مفهوم الاصل (origin)من الفهم الميتافيزيقي الذي شكل طبيعته عندما جعله تصورا مجردا ,مفارقا لاشيائه ,فمرة فهم بوصفه البداية التأريخية لاشيائه,ومرة فهم بوصفه المقدمات الصادقة للقضايا والاقيسة, ومرة أخرى فهم بوصفه العلة الاولى والمبادئ الاولى المفارقة لوجود الاشياء.لقد رفض هيدغر ذلك الفهم الميتافيزيقي الذي يتأمل الاشياء تأملا مجردا؛أي تأمل الشيء في حد ذاته بعيدا عن عالمه, مستبدلا إياه بالفهم المستند إلى الانطولوجيا الاساسية ؛ أي تأمل الاشياء تأملا عينيا ,وذلك بوصل الاشياء وصلاعضويا بعالمها عند التفكر بها , فعالمها هو الذي يحدد طبيعتها ويحدد الكيفية التي يفكر بها . للمزيد فيما يتعلق بالفهم التقليدي لمفهوم الاصل أنظر :د.عبدالحمن بدوي ,خريف الفكر اليوناني,مكتبة النهضة العربية,القاهرة,ط4 , 1970 , ص 159-160

25- مارتن هيدغر : أصل العمل الفني ,ص 29

26- المصدر نفسه, ص 29

27- المصدر نفسه, ص 30

28- المصدرنفسه, ص 34

29- المصدر نفسه, ص 38 -41

30- د.علي الحبيب الفريوي: مارتن هيدغر "الفن والحقيقة", دار الفارابي, بيروت, ط1, 2008, ص 150

31-مارتن هيدغر : أصل العمل الفني ص 93

32-زكرياابراهيم : فلسفة الفن في الفكر المعاصر ,مكتبة مصر, القاهرة ,بلاطبعة, 1988, ص 221

33- مارك جميمينز: ما الجمالية, ت:شربل داغر,المنظمة العربية للترجمة ,بيروت,ط1, 2009, ص 437-438

34-جان ماري شيفر : الفن في العصر الحديث ,ت:فاطمة الجيوشي ,وزارة الثقافة السورية ,دمشق, ط1 ,1996, ص 346

35 - Richard (k.) ; philosophies of art beauty, blackwell , N.y , 1964 ., p. 26

*****من يطلع على تأريخ الفلسفة يجد كيف أن عملية فهم الحقيقة قد أختلفت من فيلسوف لاخر ومن عصر لاخر فافلاطون فهم الحقيقة بوصفها (مثالا) ازليا, وارسطو فهم الحقيقة بوصفها (حكما عقليا) على الموجودات , أما الفلسفات العقلانية المثالية فانها فهمت الحقيقة بوصفها (توافقا) من التصورات والمفاهيم المتماسكة تماسكا فكريا ومنطقيا , في حين ان الفلسفات الواقعية و التجريبية فهمت الحقيقة بوصفها (تطابقا) بين المفاهيم والواقع الذي نتفكر به, والبرجماتية فهمت الحقيقة بوصفها ما يترتب عن الافكار من (منافع) في العالم . وتأتي انطولوجية هيدغر الظاهراتية لتتأول الحقيقة بوصفها (انكشافا) (Alithea) للموجود في عالم التجربة المعاشة، وفي اطار الوجود في العالم .

36-مارتن هيدغر : أصل العمل الفني, ص 67

37- مارتن هيدغر :نداء الحقيقة ,ترجمة وتقديم د.عبد الغفار مكاوي ,دار الثقافة,

القاهرة ,ط1,1977,ص 180

38- مارتن هيدغر : أصل العمل الفني ,ص 68

39- المصدر نفسه , ص 68

40- جياني فاتيمو :نهاية الحداثة ,ت:فاطمة الجيوشي ,وزارة الثقافة السورية ,دمشق,1998 ,ص 71

41- هانز جورج غادامير: الحقيقة والمنهج ,ت:د.حسن ناظم وعلي حاكم, دار أويا,طرابلس الغرب , ط1 , 2007, ص 251

42-مارتن هيدغر: أصل العمل الفني, ص 81

43-المصدر نفسه, ص 95

44-المصدر نفسه,ص 81

45- المصدر نفسه, ص 77